البَابُ الثَّانِي

الأدوات المباشرة للترجمة فى عصر محمد على

الفصل الأول : مدرسة الألسن وقلم الترجمة

الفصل الثانى : المؤلفون والكتب

الفصل الثالث : المترجمون

١ — السوريون

٢ — خريجو المدارس والبعثات

٣ — خريجو الألسن

٤ — الموظفون

الفصل الرابع : المحررون والمصححون

الفصل الخامس: القواميس والمعاجم

الفصل السادس: الطبع والنشر

oberkanal.com

الفصل الأول

مدرسة الالسن وقلم الترجمة

الخطوات التمهيدية : مدرسة الإدارة الملكية ، مدرسة التاريخ والجغرافيا ، مدرسة الألسن، سبب إنشائها ، تلاميذها ، مدة الدراسة ، برنامجها ، القسمات التى كانت تدرس بها ، مدرسو المدرسة ، مديرها ، مدرسو اللغتين العربية والفرنسية ، أقسام المدرسة وعلوها ؛ قلم الترجمة ، أقسامه ؛ إلغاء المدرسة فى أوائل عهد عباس ، قلم الترجمة فى عهد ابراهيم، نشأت رجاله بعد إلغاء المدرسة .

(ا) مدرسة الألسن — الخطوات التمهيدية :

مدرسة الادارة الملكية : كان محمد على فى حاجة إلى عـــدد كبير من الموظفين المثقفين ثقافة جديدة لمساعدته فى إدارة ما أنشأت حكومته من (دواوين) ومصالح وأقلام . ولذلك بادر فحاول المحاولة الأولى فأنشأ فى جمادى الأول سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) مدرسة الإدارة الملكية ، واختير لها ثلاثون تلميذاً من تلاميذ الدرسخانة الملكية وعين للتدريس بها أرتين شكرى أفندى ، واسطفان رسمى أفندى عضوا البعثة إلى فرنسا اللذان تخصصا فى دراسة الإدارة الملكية .

وكان على هؤلاء التلاميذ أن يدرسوا فى الدرسخانة الملكية من الصباح إلى الظهر ثم يتوفرون — من الظهر إلى ماقبل غروب الشمس — على دراسة المواد الإعدادية لدراسة الأمور الملكية، وأهمها اللغة الفرنسية ، والمحاسبة ، ومبادىء الهندسة ، والجغرافية .

وكان على هذين المدرسين — إلى جانب قيامهما بالتدريس — أن يبذلا جهوداً أخرى فى الترجمة فى هذا الفن — فن الادارة الملكية — فنصت لائحة المدرسة على :

١ — أن يعهد إليهما فى الصباح بترجمة مايحال إليهما ترجمته .

٢ — أن يقوما بترجمة دروس فى الادارة المدنية وإعدادها .

كذلك نصت اللائحة على أن تدرس مادة الترجمة دراسة عملية لتلاميذ المدرسة، فإنه ولما كان من أغراض المدرسة تخريج مترجمين وموظفين لفروع الادارة المصرية فقد أشارت اللائحة بأن يقدم التلاميذ — بعد تقدمهم فى اللغة الفرنسية — كتب فى التاريخ سهلة ، وتترجم لهم درساً درساً ، حتى إذا تمت ترجمة الكتاب وإصلاحه قامت المطبعة على طبعه ، وأنه لأجل حصول ائتلاف التلاميذ بالمصالح المصرية، تقدم للمدرسة نسختان من الوقائع المصرية ، وتترجم لتلاميذها المواد ، المشتملة على عمارية الملك بجرنالات أوربا ،[1]

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ص ٣٢٨ .

غير أن هذه المدرسة لم تعمر طويلا فقد ألغيت بعد قليل ، ونقل تلاميذها إلى مدرسة الألسن فى آخر سنة ١٢٥١ (١٨٣٦) .

مدرسة التاريخ والجغرافيا : أنشئت فى حدود سنة ١٢٥٠ وألحقت بمدرسة المدفعية وكان ناظرها الوحيد هو رفاعة رافع الطهطاوى ، وكان القصد من إنشائها تخريج مدرسين للجغرافيا فى المدارس الحربية المختلفة ، وقد ألغيت هذه المدرسة عند إنشاء مدرسة الألسن ، وقد فصلنا الكلام عليها عند كلامنا عن رفاعة فى فصل المترجمين .

وبهذا كانت هاتان المدرستان الخطوتين التمهيدتين لانشاء مدرسة الألسن .

مدرسة الألسن : أنشئت فى أوائل سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) بإسم مدرسة الترجمة ثم غير اسمها فأصبح « مدرسة الألسن » ، وجعل مقرها السراى المعروفة ببيت الدفتردار بحى الأزبكية حيث فندق شبرد الآن[١]

وقد أنشئت هذه المدرسة تحقيقاً لاقتراح تقدم به رفاعة لمحمد على باشا ، يقول على مبارك : « ثم عرض (أى رفاعة) للجناب العالى أن فى إمكانه أن يؤسس مدرسة ألسن يمكن أن ينتفع بها الوطن ، ويستغنى عن الدخيل فأجابه إلى ذلك ، ووجه به إلى مكاتب الأقاليم لينتخب منها من التلامذة مايتم به المشروع فأسس المدرسة »[٢] .

وكان تلاميذ المدرسة فى أول عهدها ثمانين تلميذا ، اختار رفاعة معظمهم من مكاتب الأقاليم ، وضم إليهم تلاميذ مدرسة الادارة الملكية بعد إلغائها ، ولكن هذا العدد زاد بعد ذلك حتى أصبح مائة وخمسين ، وكانوا ينقسمون إلى قسمين ، ويرأس كل قسم أستاذ ويساعده بعض التلاميذ المتقدمين[٣].

وكانت مدة الدراسة بالمدرسة ٥ سنوات قد تزداد إلى ست ، كما أنه كان « لشورى المدرسة الداخلى — أى مجلس إدارتها — الحق فى تعديل منهاج الدراسة بها ، وكان هذا المنهاج ينص على أن تدرس بها اللغات العربية والتركية والفرنسية[٤] ، والحساب ، والجغرافيا ، ثم أضيفت بعد ذلك دراسة التاريخ ، وأرسلت المدرسة « إلى أوروبا لشراء كتب فرنسية فى الأدب والقصص والتاريخ »[٥] .

وفى سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩) اكتملت المدرسة ، وأصبح بها ٥ فرق ، وخرجت أول فريق من تلامذتها ، وكان تلاميذ الفرقة الأولى (أى الأخيرة) « يترجمون كتباً فى التاريخ والأدب ، ويقوم على

---

(١) و (٢) الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .

(٣) Bowring, Op. Cit. p. 134

(٤) ذكر عبد الله أبو السعود أحد خريجى المدرسة فى كتابه « منحة أهل العصر بمنتقى تاريخ حى مصر » ص ٥٨ أن اللغة الفارسية كانت تدرس أيضا بمدرسة الألسن .

(٥) عزت عبد الكريم « المرجع السابق » ص ٣٣٢ — ٣٣٣ .

إصلاحها أستاذهم ومدير مدرستهم « رفاعة رافع » ثم تقدم إلى المطبعـــة فتطبع وتنشر كتباً يقرؤها المدرسون والتلاميذ [١] » .

غير أن العناية بتدريس اللغات فى مدرسة الألسن لم تكن فى درجة واحدة فقد كانت العناية كبيرة بتدريس اللغتين العربية والفرنسية ، وذلك لأسباب واضحة منها أن كل التلاميذ كانوا من المصريين الذين يعرفون العربية ولا يعرفون التركية ، ومنها أن ناظر المدرسة وأستاذها رفاعة كان يتقن هاتين اللغتين .

ومع هذا فقد « درست اللغة الانجليزية وقتاً ما بمدرسة الألسن ، وقام على تدريسها مدرس انجليزى ، وقرأ التلاميذ قصصاً وكتباً فى قواعد اللغة الانجليزية [٢] » وقد ذكر صالح مجدى فى كتابه « حلية الزمن » عند كلامه عن تلاميذ رفاعة أن من بين من نبغ فى اللغة الانجليزية من خريجى الألسن « محمد أفندى سليمان مدرس اللغة الانجليزية بالمدارس الحربية وأول من برع فى الترجمة من الانجليزية » .

أما اللغة التركية فكانت العناية بها ضعيفة للأسباب السابقة ، ولأنه « كان من الصعوبة بمكان أن تجد الحكومة مترجماً يحذق اللغات العربية والتركية والفرنسية جميعاً [٣] » .

مدرسو المدرسة : ذكر فى لائحة المدرسة أن هيئة التدريس بها تتكون من :

١ — مديرها .
٢ — مراقبين للدراسة .
٣ — أستاذين للغة العربية من الدرجة الأولى .
٤ — أستاذ للغة التركية من الدرجة الأولى .
٥ — ثلاثة أساتذة لتدريس اللغة الفرنسية والرياضة والتاريخ والجغرافيا [٤] .

أما مدير المدرسة فهو زعيم النهضة العلمية فى عصر محمد على ، العالم الكبير رفاعة رافع الطهطاوى ، وسنترجم له ترجمة واسعة فى الفصل الخاص بالمترجمين ، ويكفى أن نعرف هنا :

١ — أنه كان يشرف على المدرسة من الناحيتين الفنية والإدارية [٥] .
٢ — كان يدرس للتلاميذ الأدب والشرائع الإسلامية والغربية .

---

(١) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ٣٣٢ — ٣٣٣ .
(٢) و (٣) المرجع السابق ص ٣٣٣ (عن وثائق عابدين) .
(٤) Bowring. Op. Cit. p. 134.
(٥) كان المتبع فى عصر محمد على أن يكون لكل مدرسة خصوصية « مدير يشرف على الشئون العلمية كتوزيع التلاميذ على الفرق الدراسية ، وتوزيع المواد الدراسية ، ورياسة المدرسين ؛ وناظر يشرف على الشئون الإدارية كالضبط ورياسة عمال المدرسة من كتبة وخدم وغيرهم ، وكان ناظر الألسن يدعى حسن كاشف ثم عزل بناء على طلب رفاعة بك » عزت عبد الكريم ، السابق ، ص ٣٣٤ ، هامش ١ .

٣ — كان يختار الكتب التى يرى ضرورة ترجمتها ويوزعها على المترجمين من تلاميذ المدرسة وخريجيها الملتحقين بقلم الترجمه ، ويشرف على توجيههم أثناء قيامهم بالترجمة ، ويقوم بمراجعة الكتب وتهذيبها بعد ترجمتها ، يقول حسن قاسم أحد خريجى مدرسة الألسن فى مقدمة كتاب « تاريخ ملوك فرنسا » : « ولما تم هذا التعريب لحظه بنظر التصحيح والتهذيب حضرة رفاعة بك ناظر مدرسة الألسن وقلم الترجمة ، فشيد مبنى ألفاظه وأحكامه » .

٤ — وكان رفاعة يرأس كل عام لجنة امتحان تلاميذ مكاتب المبتديان بالأقاليم ، فيسافر إليها فى النيل ، ويمتحن تلاميذها ، ويصطحب المتفوقين منهم ليلحقهم بالمدرسة التجهيزية الملحقة بمدرسه الألسن .

وكان إخلاص رفاعة لمهنته يدفعه إلى عدم التقيد بأوقات محددة للدراسة فكان يستمر فى الدرس ثلاث أو أربع ساعات ما دام يجد فى نفسه رغبة وفى تلاميذه قبولا ، يقول على مبارك باشا : « كان دأبه فى فى مدرسة الألسن وفيما اختاره للتلاميذ من الكتب التى أراد ترجمتها منهم ، وفى تأليفاته وتراجمه خصوصاً أنه لايقف فى ذلك فى اليوم أو الليلة على وقت محدود ، فكان ربما عقد الدرس للتلامذة بعد العشاء ، أو عند ثلث الليل الأخير ، ومكث نحو ثلاث أو أربع ساعات على قدميه فى درس اللغة ، أو فنون الإدارة ، أو الشرائع الإسلامية ، والقوانين الأجنبية ، وله فى الأولى مجاميع لم تطبع ، وكذلك كان دأبه معهم فى تدريس كتب فنون الأدب العالية ، بحيث أمسى جميعهم فى الإنشاءات نظماً ونثراً أطروفة مصرهم ، وتحفة عصرهم ، ومع ذلك كان هو بشخصه لايفتر عن الاشتغال بالترجمة والتأليف ، وكانت مجامع الامتحانات لاتزهو إلا به »[1] .

وقد أرهقت هذه الأعمال الكثيرة رفاعة فعين له ديوان المدارس مدرساً فرنسياً ليقوم بمساعدته فى إدارة المدرسة والتفتيش على الدروس وأمانة المكتبة[2] .

أما مدرسو اللغة العربية فكانوا نخبه من مشايخ الأزهر الممتازين فى معرفتهم وحبهم القراءة والبحث والتحقيق ، ذكر منهم على مبارك[3] :

١ — الشيخ الدمنهورى .
٢ — الشيخ على الفرغلى الأنصارى (ابن خال رفاعة) .
٣ — الشيخ حسنين حريز الغمراوى .
٤ — الشيخ محمد قطة العدوى .
٥ — الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوى .
٦ — الشيخ عبد المنعم الجرجاوى .
٧ — حسن أفندى (باشخوجة المدرسة) .

---

(١) و (٣) الخطط التوفيقية ، ج ١٣ ، ص ٥٤ .
(٢) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٣٤ هامش ٢ .

أما مدرسو اللغة الفرنسية فهم :

١ — مسيو « كوت » وقد خلفه بعد وفاته « اسكندر دوده » .

٢ — مسيو « بتيير » .

٣ — مسيو « ديزون » وهو الذى اختير لمساعدة رفاعة ولأمانة المكتبة .

وقد حقق خريجو مدرسة الألسن غرض من إنشاء المدرسة، فعين المتقدمون من أول فريق تخرج فى سنة ١٨٣٩ مدرسين للغتين العربية والفرنسية فى نفس المدرسة ، وفى مدرسة « المهندسخانة » .

ولما أنشىء قلم الترجمة فى أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) ألحق به كل خريجى المدرسة غير أن الواحد منهم لم يكن يمنح الرتبة حتى يترجم كتاباً « يحوز الرضا السامى »[١] وقد ألحق كثيرون منهم مدرسين بالمدارس الأخرى أو موظفين بالمصالح المختلفة .

نمو المدرسة واتساعها : وظهر للباشا ما للمدرسة من فوائد جليلة ، وأدرك ما بلغته من نجاح فظل يعمل على تنميتها :

١ — فى سنة ١٨٤١ ألحقت بها المدرسة التجهيزية التى كانت قبلا فى أبى زعبل .

٢ — وفى سنة ١٢٦٠ (١٨٤٥) أنشىء بالمدرسة قسم لدراسة « الإدارة الملكية العمومية » لتخريج الموظفين الإداريين ، للعمل « فى المديريات والمصالح والضابط خانة »[٢] .

٣ — وفى نحو سنة ١٢٦٢ أنشىء بها قسم ثان لدراسة « الإدارة الزراعية الخصوصية » .

٤ — وفى أواخر سنة ١٢٦٣ أنشىء بها قسم ثان لدراسة العلوم الفقهية ، « وكان عدد تلامذته أربعين تلميذاً ، ويتلقون دروساً فى اللغة على المذهب الحنفى ، حتى إذا أتموا دراستهم عينوا قضاة بالأقاليم « حيث أن أكثر القضاة ليسوا علماء »[٣] .

وقد أدى هذا النمو إلى ازدحام المدرسة بالطلاب حتى كان التلاميذ من فرق مختلفة يجلسون فى حجرة واحدة لتلقى علوم متباينة على أساتذة متباينين ، فعمل رفاعه على تنظيم بناء المدرسة ، حتى صار « لكل درس محل مخصوص بباب مخصوص »[٤] .

قلم الترجمة

أنشئت هذه الفروع جميعاً لتخريج الموظفين الإداريين والقضاة غير أن طلبتها تعلموا اللغات الأجنبية، وتلقوا علوماً جديدة حديثة إلى جانب العلوم العربية القديمة ، وشاركوا — إلى حد ما — فى حركة الترجمة ، ولكن يهمنا أن نعرف شيئاً عن فرع المدرسة الذى يتصل اتصالا وثيقاً بموضوعنا ، وهو قلم الترجمة .

---

(١) و (٢) و (٣) و (٤) عزت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ٣٣٦ و ٣٣٧ .

أنشىء فى أوائل سنة ١٢٥٨ (١٨٤١) تنفيذاً لإشارة لجنة تنظيم التعليم (١٨٤١) ، فقد رأت اللجنة أنه ، لما كانت الكتب الجارى ترجمتها معدودة آثاراً خيرية من مآثر سمو مولانا الخديو الأعظم الذى تخلد اسمه الكريم إلى أبد الآبدين ، فلا شك فى أن الواجب يقضى بأن تكون التراجم مضبوطة مستوفية حقها من الصحة سليمة من الخطأ ، فلهذا ، ولكون ترجمة كتب العلوم والفنون ليست مقصورة على معرفة اللغة فحسب ، بل متوقفة أيضاً على الإلمام بالعلم أو الفن المترجم كتابه ، فقد أنشأت اللجنة غرفة الترجمة الخاصة بالمترجمين »[1] .

وقسمت هذه الغرفة إلى أربعة أقلام :

١ — قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم والرياضة ، ورئيسه «البكباشى محمد بيومى افندى» وتحت رئاسته « ملازم » متخرج من مدرسة الألسن ، وخمسة من تلاميذ فرقتها الأولى .

٢ — قلم ترجمة كتب العلوم الطبية والطبيعية ، ويشرف عليه «اليوزباشى مصطفى واطى افندى» أحد مدرسى مدرسة الطب البشرى ، وتحت رئاسته ملازم من مدرسة الألسن وثلاثة من تلاميذها .

٣ — قلم ترجمة المواد الاجتماعية أو « الأدبيات » كالتاريخ والجغرافيا والمنطق والأدب والقصص والقوانين والفلسفة الخ ، ورئيسه الملازم أول خليفة محمود افندى أحد مدرسى مدرسة الألسن وخريجيها ، وألحق به ملازم ثان وثلاثة من تلاميذ المدرسة .

٤ — قلم الترجمة التركية ، ويشرف عليه « ميناس افندى » المترجم بديوان المدارس . وتحت إمرته أربعة من تلاميذ المدرسة .

ثم ألحق بهذه الأقسام عدد من المبيضين لتبييض الكتب بعد ترجمتها ، وإرسالها إلى ديوان المدارس للاطلاع عليها ، فكان يشير بطبع النافع القيم منها .

مصير هذه المؤسسة :

عاشت مدرسة الألسن نحو الخمسة عشر عاما بدأت فيها تسيطر على شئون الثقافة العامة فى مصر ، وأنتجت فى إبانها الإنتاج العلمى الوفير ، فلما ولى العرش عباس الأول — ولم يكن على انسجام مع رجال جده وعمه وخاصة رفاعة — أخذ يسعى سعيه للقضاء على هذه المدرسة ، فبدأ بإلغاء قسم الفقه بالمدرسة ، ثم ثنى بتصفية تلاميذ المدرسة وفصل عدد كبير منهم ، «وفى الشهر الأخير من عام ١٢٦٥ (أكتوبر ١٨٤٩) صدر الأمر بنقل مدرسة الألسن إلى مكان مدرسة المبتديان بالناصرية ، وبذلك حرمت المدرسة من مكانها ..... وضاق بها مكانها الجديد حتى اضطروا إلى نقل الكتبخانة الأفرنكية والأنتيكات إلى

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤١ (عن وثائق عابدين) .

المهندسخانة ببولاق ، ولم تمض أيام على ذلك حتى ألغيت مدرسة الألسن فى المحرم سنة ١٢٦٦ (نوفمبر سنة ١٨٤٩) وضم تلامذتها إلى التجهيزية قبـــل إلغائها [١] ، وفى أواخر سنة ١٢٦٦ سافر رفاعة إلى الخرطوم ليكون ناظراً ومدرساً لمدرسة الخرطوم الابتدائية .

أما قلم الترجمة فقد خضع لتجربة جديدة فى الشهور القليلة التى ولى فيها ابراهيم باشا ، وصدر الأمر بتقسيمه تقسيما جديدا إلى قلمين : قلم للترجمة التركية ويشرف عليه كانى بك ، وقلم للترجمة العربية ويشرف عليـه رفاعة بك وجعلت الرئاسة العليا لكانى بك ، فقد نشرت الوقائع المصرية فى العـدد ١٢٧ الصادر فى ٢٦ القعدة سنة ١٢٦٤ : « لما كانت ترجمة الكتب المرغوبة التى تشتمل على القوانين والتراتيب والآداب وسائر العلوم والفنون النافعة من اللغة الفرنساوية إلى التركية والعربية ، وطبعها ونشرها وسيلة عظمى لتكثير المعلومات المقتضية ، وقضية مسلمـة عنـد أولى النهى ، وكان حصول ذلك لا يتأتى إلا بوجود المترجمين البارعين فى ألسـنة الافرنجى والتركى والعربى ، واجتماعهم فى محل واحد ، وقسمهم إلى قلمى ترجمة ، وضمهم إلى نظارة حضرة أمير اللواء كانى بك وكيل ديوان التفتيش الفريد فى فن الترجمة ، المشهور بالسلاسة والبلاغة حصل فتح القلمين كما ذكر وقد تعين حضرة رفاعة بك أمير الآلاى الذى كان ناظر مدرسة الألسن التابعـــة إلى ديوان المدارس ناظرا على قلم الترجمة العربى فى معية حضرة المومى إليه » .

يقول الدكتور عزت عبد الكريم « على أن إلغاء مدرسة الألسن فى نوفمبر سنة ١٨٤٩ لا شك قد أثر أثرا بليغا فى قلم الترجمة ورجاله فقد حرمه الدعامة القوية التى كان يرتكن عليها فى عمله الفنى وحرم المصدر الذى كان قائما على تغذيته بالمترجمين كما حرم ناظره رفاعة بك المكانة السامية التى كانت له فى دوائر التعليم ، وبعد أشهر رحل رفاعه إلى السودان ، ولم يستطع القلم أن يحيا بعد فقد مؤسسه ومديره فتشتت رجاله . . . . » [٢]

---

(١) و (٢) عزت عبد الكريم ، تاريخ التعليم فى عصر عباس وسعيد ، ج ١ ، ص ٥٨ — ٦١ .